البرلمان الانجليزى

٢

٤. الشورى بانجلترا بين سنة ١٢١٦ وسنة ١٢٩٥ ميلادية

خلف هنرى الثالث (١٢١٦ – ١٢٧٢) اباه جون الاول على عرش انجلترا وكان فى التاسعة من عمره فتعين شيخ الأعيان الارل بمبروك « وليم مرشال» وصيا عليه وكان يميل هو ومن استعان بهم من الوزراء على أن لا يتقيدوا بنصوص العهد الاكبر ولكن اضطراره للنقود دائما ليدفع بها خطر الغزو الاجنبى ويخمد الثورات الداخلية المعدة جعله يلجأ الى الامة الانجليزية ويستشير روساءها فى ادارة شئونها ومن حسن حظ الشورى فى البلاد ان كان الملك مبذرا فظل مفتقرا الى النقود طول حياته فكثرت اجتماعات الجمعية الاهلية فى عهده التى بذلت اقصى جهدها حتى تكون ارشاداتها وقراراتها نافذة المفعول لا يهمل شأنها فكانت تقابل طلبات النقود بطلبات الاصلاح ولاضطرار الملك كان يوافق على الاصلاح المنشود حتى يحصل على النقود.

نمو الشعور الديمقراطى وحرب البارونات (١٢٣٢ — ١٢٧٢)

اراد هنرى الثالث أن يكون وزير نفسه الاول وفى سنة ١٢٣٦

طرد رئيس القضاه من خدمته وعين فيها أحد أتباعه واستمر فى طرد الموظفين واستبدال غيرهم بهم من بين اتباعه وخدمه وكتبته الذين جلبهم من الخارج من مقاطعتى بواتير وبريتانيا بفرنسا ، جاء هؤلاء الجائعون وشغلوا وظائف القصر والوظائف الحكومية الأخرى من قضائية وادارية وغيرها وفى سنة ١٢٣٦ تزوج الملك الينار اميرة بروفنس ولما جاءت الى انجلترا صحبها اعمامها فتعين احدهم رئيسا لمجلس الملك وتعين آخر رئيسا لاساقفة كنتربرى وهؤلاء استعانوا بالأجانب المساحين الذين طالما نزلوا الى اسواق المدينة ونهبوا مافيها .

اغضبت هذه الاعمال سكان لندره فثاروا وطلبوا الاصلاح من الملك واضطروا رئيس الاساقفة على الفرار ولكن الملك استمر فى دعوته للأجانب فكان اسقف ونشستر أجنبيا وكان ارل يمبروك اجنبيا ومضحك الملك اجنبيا وهذا شجع نبلاء مقاطعة بواتير على النزوح الى انجلترا هم واتباعهم وقد صحبهم عدد من السيدات تمكن من استمالة اشراف الانجليز وتزوجن بهم ، هؤلاء تعالوا على الشعب الانجليزى واحتقروه واغضبوا افراده فوقعت البلاد فى فوضى حكومية وانقلب اتباع الملك لصوصا يسرقون وينهبون كل ماتصل اليه ايديهم وفشت الرشوة وساءت الحال بسبب اهمال اشراف الأنجليز وانقساماتهم واخيرا قام ريكارد مرشال وهو ابن وليم مرشال الذى كان وصيا على الملك ورفع راية العصيان وهزم جنود الملك واضطره على مهادنته

ومصالحته ولـكنه قتل بعد قليل وصار الاشراف لايجدون رئيسا ينظم حركتهم ويقود ثورتهم وفى هذه الاثناء استعمل الملك كل أنواع الشدة حتى يحصل على النقود اللازمة له ولأتباعه ورغم مافعله فى هذا السبيل قد ظل محتاجا لانه كان يدفع سدس ايراده معاشا للاجانب وتضاعفت ديونه حتى أصبحت أربع أمثال ايراده فأضطر لعقد جمعيه أهلية تنظر فى الامر فى سنة ١٢٣٧ . اجتمعت الجمعية وقررت مساعدة الملك ماليا بشرط أن تسيطر على وجوه الصرف وبشرط ان يتبع الملك نصوص العهد الاكبر وان لايخالفها فى المستقبل . حصل الملك على النقود وأهمل وعوده ولـكنه اضطر مرة أخرى وطلب المساعدة فى سنة ١٢٤٢ فأجتمع البارونات واحتجوا على تصرفاته وامتنعوا عن الدفع فلجأ الملك الى الوسائل القهرية والسلفيات الاجبارية ولـكنه بعد سنتين من ذلك زاد اضطراره فشافه البارونات بنفسه ولـكنهم كانوا قد نظموا صفوفهم بزعامة سيمون اف منتفورت ارل ليستر . انتخب رجال الدين والاشراف اثنى عشر عينا من بينهم وعلى رأسهم سيمون وارل ريكارد كرنوول ليتكلموا مع الملك وليطلبوا منه مراعاة نصوص العهد الاكبر وقدموا له مشروعا للاصلاح طلبوا فيه أن يكون لمجلس الملك الحق دون سواه فى تعيين رئيس القضاة ووزير المالية والنائب العمومى وان يعين مجلس دائم يبقى بجوار الملك لمساعدته وارشاده . عارض هنرى المشروع وعاضده فى ذلك البابا فاجتمع البرلمان فى سنة ١٢٤٦ وأرسل احتجاجه الى روميه

على تصرفات رجال الدين الأجانب فى انجلترا . وفى سنة ١٢٤٨ اجتمع البرلمان مرة أخرى ووجه لوما شديدا للملك وجدد الطلب فى اعطاء مجلس الملك الحق فى تعيين اكابر الموظفين . وعد الملك بالاصلاح ولكنه ليقضى على حزب المعارضة أوفد سيمون الى مقاطعة جسكونيا بفرنسا ليخمد الثورات . وينوب عن الملك فيها واتهز كل الفرص للايقاع به ، ولكن وقفت الاشراف بجانبه وعاضدوه ضد الملك . سارت الامور فى انجلترا من ردىء الى أردأ وارسل البابا اعوانه يجمعون الضرائب بالقهر والشدة فرفعت الشكوى الى روميه والى الملك ولما لم تنتج ثارت انكسفورد وطردت رسول البابا طردا شنيعا ووقف الملك يعاضده البابا ضد امته فاغضب رجال الدين وزاد فى غضب الأمة عليه فأجتمع البرلمان فى سنة ١٢٥٥ وطلب الاصلاح وتنظيم الامور فرفض الملك فثارت الامة ورفض ارل نرفولك دفع أى مساعدة له ولما هدده الملك بقوله انه سيرسل رجاله ليحصدوا حقوله ويصادروا زرعها أجابه الارل بأنه اذا فعل ذلك سيرسل له رؤوس من يتجاسر على انتهاك حرمة حقوله

اصلاحات اكسفورد سنة ١٢٥٨

حدث قحط عظيم فى انجلترا بين سنة ١٢٥٥ و سنة ١٢٥٨ وهدد الاسكتلنديون انجلترا بالغزو وثارت ويلز واضطرب هنرى . وطلب النقود بجميع الوسائل ولما لم ينجح هذه الدفعة دعى البرلمان للانعقاد فى

ابريل سنة ١٢٥٨ فتسلح الاشراف بقيادة ارل جلوسستر وسيمون واضطروا الملك على أن يعين لجنة من أربعة وعشرين عينا لتنظر فى علاج الحالة فى البلاد وفى يوتيه قابل أعضاء اللجنة البرلمان فى مدينة اكسفورد وبعد المناقشة والمفاوضة اتفق على ان يجتمع مجلس الملك الاكبر ثلاث مرات فى السنة سواء دعاه الملك للانعقاد أو لم يدعه وفى كل دور انعقاد تنتخب الامة لجنة من اثنى عشر تنظر فى طلبات الملك واحتياجاته والا تنقيد الامة بشىء غير ما تقرره هذه اللجنة ثم تقرر انه يتعين ثلاث لجان أخرى تقوم بالادارة وتنفذ الاصلاح الاولى وهى المكونة من الاربعة والعشرين تنظر فى أمور الكنيسة والثانية وتتكون من أربعة وعشرين تنظر فى الامور المالية والثالثة وتتكون من خمسة عشر عضوا تبقى بجانب الملك دائما لترشده فى ادارة الشئون واقسم الملك ونوابه ورئيس قضاته على أن يحترموا ارادة هذه اللجنة الدائمة وأذاع الملك منشورا باللغة الانجليزية فى انحاء البلاد يأمر فيه شعبه باحترام هذه القرارات وتنفيذها . رفض اتباع الملك من الاجانب أن يسلموا قصورهم ويتركوا وظائفهم فقامت مظاهرة مسلحة من الاشراف وطردوهم من البلاد .

انقسم الاشراف على أنفسهم بعد ذلك فانتهز الملك الفرصة وأهمل تنفيذ قرارات اكسفورد فثار فى وجهه سيمون وانضم فريق من الاشراف اليه وانضم الفريق الآخر الى الملك وقامت الحرب الاهلية بين الطرفين

وخرج منها سيمون فائزا بعد انتصاره على الملك وأنصاره فى معركة لويز مايو سنة ١٢٦٤

برلمان سيمون يناير سنة ١٢٦٥

تسلم سيمون زمام الامور فى البلاد بعد ان تصالح مع الملك وفى يونيه سنة ١٢٦٤ طلب من البلاد ان تنتخب أربعة فرسان ينوبون عن كل مقاطعة ليقابل الجميع الملك وليضعوا قواعد الحكم فى البلاد فى المستقبل فاجتمعوا وقرروا قرارات نفذها سيمون وفى يناير سنة ١٢٦٥ اجتمع برلمان سيمون واحتوى على عنصر جديد من النواب (نواب المدن) وأعطى من السلطة ادارة كل شئون المملكة. ويعتبر هذا البرلمان خطوة عظيمة فى سبيل التقدم الحقيقى للحكم الدستورى فى البلاد الانجليزية اذ تألف من نائبين عن كل مديرية ومن اثنين واربعين عضوا ينوبون عن واحدة وعشرين مدينة من المدن الكبيرة وعرف سيمون بالمؤسس الاول لمجلس العموم الانجليزى وقد اختلف المؤرخون اختلافا عظيما فيما اذا كان سيمون مستحقا لهذا اللقب اذ كان كل النواب من حزبه ومن أنصاره ومن المشايعين لارائه ولكن لا جدال فى انه اول منظم لتمثيل الشعب بتمثيل المدن فى برلمانه

ادوارد الاول وبرلمان سنة ١٢٩٥

مات هنرى الثالث سنة ١٢٧٢ وخلفه على عرش انجلترا ادوارد الاول

(١٢٧٢ — ١٣٠٧) وفى السنة التالية من حكمه اجتمعت جمعية أهلية كبيرة لتقسم بين الولاء الملك وكانت مؤلفة من رؤساء الاساقفة والاساقفة واللوردات والبارونات ومن رؤساء الاديرة ومن العمد ومن أربعة فرسان من كل مقاطعة ومن أربعة من كل مدينة ويمكننا اعتبارها أول برلمان عقده أدورد . خيم الظلام قليلا على سير الحكم الشورى فى البلاد بعد ذلك ولا نعرف عنه الا النذر القليل ولكن فى سنة ١٢٨٢ حارب الملك ويلز وطلب وهو يحارب انعقاد مجلسين الاول فى مدينة يورك ويمثل أهل الشمال والثانى فى مدينة نورثهمبتون ليمثل الجنوب وقد تألف كل مجلس من بعض رجال الدين ومن اربعة فرسان يمثلون كل مديرية ومن اثنين عن كل مدينة ولكن لم تدم هذه المجالس ولم يعتبر انعقادها سابقة دستورية يرجع اليها ويستند عليها وظلت القوانين تسن بواسطة من هذه الوسائط حتى جاءت سنة ١٢٩٥ . امر الملك فى هذه السنة بانعقاد مجلس يمثل طبقات الأمة فطلب من رؤساء الاساقفة والاساقفة ان ينتخبوا واحدا يمثل رؤساء الكنائس وأن يرسلوا للمجلس رؤساء القساوسة وان ينتخبوا واحدا يمثل كل كتدرائية فى البلاد واثنين ينوبان عن قساوسة كل مقاطعة ثم امر كل عمدة أن يطلب من الاهالى ان تنتخب فارسين عن كل مديرية ونائبين عن كل مدينة ممتازة ونائبين عن كل مدينة من المدن الباقية ودعى الى المجلس سبعة من اللوردات وواحدا وأربعين بارونا ولما اجتمع المجلس قسم العمل بين

أعضائه فكان على رجال الدين والاشراف التشريع والتنفيذ وعلى نواب الامة ان يتعرفوا رغبات الناخبين ومطالبهم وعليهم ان يحصلوا منهم على السلطة لينفذوا ما يشرعوه بالاشتراك مع الآخرين . اجتمعت هذه الجمعية وكانت البرلمان الحقيقي للبلاد اذ أصبح كل ما يشرعه الملك بواسطته قانونا نافذ المفعول

غربت شمس القرن الثالث عشر الميلادي وغربت معها شمس المجالس الاقطاعية التي كانت تمثل الاشراف دون سواهم وأصبح المجلس في انجلترا مجلسا نيابيا يمثل عناصر الامة الثلاثة : العنصر الذي كان عليه الصلاة (رجال الدين) والعنصر الذي كان عليه القتال (الاشراف) والعنصر الذي كان عليه ان يفلح الارض ويدير المصانع (نواب الامة) وقد اتخذ برلمان سنة ١٢٩٥ مثالا يحتذى في تكوين المجالس النيابية التي تألفت بعده . اصبح سابقة دستورية للشعب الانجليزي ينسج على منوالها وقد استمر الشعب في جهاده ونضاله لينقل السلطة جملة من يد الملك ليده . وستقتفي اثر هذا النضال في مقالنا التالي إن شاء الله ؟

حسن خليفة

المدرس بدار العلوم